

فضل الحج والعمرة

وإذا كان كذلك فنقول: إن الإنسان يغتنم الفرصة المواتية؛ الفرص لا تدوم. فإذا كان لم يحج فريضته فعليه المبادرة. جاء في الحديث قوله -صلى الله عليه وسلم- { بادروا بالحج -يعني: الفريضة- فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له } بادروا يعني: أسرعوا بالحج، أسرعوا بأداء الفريضة؛ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له؛ فقد يكون الآن غنيا ويفتقر بعد قليل، وقد يكون قويا ثم يمرض، ثم يعجز، أو صحيحا ثم يمرض، وقد يكون الآن فارغا ثم بعد ذلك ينشغل، وقد لا يتأتى له بعد؛ فلأجل ذلك يجب المبادرة. المبادرة بأداء هذه المناسك قبل أن تتغير الأحوال. كذلك أيضا بعض العلماء يقول: إن له التراخي، وإن له التأخير، ويستدلون بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أحر الحج إلى سنة عشر. ونقول: إنه لم يتمكن في السنين الماضية؛ وذلك لأنه توجه في سنة ست، وصدّه المشركون، وصدوا ما معه من الهدى، وأنزل الله تعالى: { هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلُّهُ }؛ فصدوه سنة ست، ثم صالحهم على أن يعتمر في سنة سبع، ولكن شرطوا ألا يقيم إلا ثلاثة أيام، فوفى لهم، واعتمر سنة سبع، وأقام ثلاثة أيام، ولما انتهت أيامه أمر أصحابه بالرحيل. كذلك أيضا في سنة ثمان فتح الله عليه البلد الحرام ولكن لم يتفرغ كان منشغلا بالغزو وبالحصار، ويقسم الغنائم، وباسترجاعها، وفاته الحج، لم يتمكن منه تلك السنة، وإنما اعتمر عمرة من الجعرانة. وأما في سنة تسع فإنه علم أن المشركين يحجون، وأن لهم عادات سيئة؛ فأرسل أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- ومعه كثير من الصحابة. أرسلهم يحجون، وأمرهم بالمنادات في فجاج مكة وفي المشاعر: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان له عهد فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فله أربعة أشهر. وأمرهم أن يقرءوا أول سورة التوبة: { بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ } الذي هو أيام الحج. فأخذوا ينادون في فجاج مكة وفي المشاعر: في عرفة وفي منى وفي مزدلفة بهذه الأربع. ولما كان في سنة عشر، وظهر البيت وعلم أنه لا يحجه أحد من المشركين، وانقطعت عادات المشركين-أذن الله تعالى له فحج سنة عشر، وأخذ يعلم الناس مناسكهم، ويقول لهم: { خذوا عني مناسككم؛ فلعلي لأفاكم بعدها } وقع ذلك أن ذلك كان في آخر حياته، لما رجع عاش بعد ذلك نحو اثنين وثمانين يوما، ثم توفاه الله، وأقام المسلمون المشاعر بعده؛ فهكذا سبب تأخيره. فأنت أيها المسلم، الذي من الله عليك بالصحة وبالغنى والقوة وبالأمن وبالقدرة وبالإسلام وبالعقيدة الصحيحة لا تتأخر، ولا تتوان. فيجب الحج على المسلم في عمره مرة واحدة، وما زاد على ذلك فإنه تطوع، ومع ذلك؛ فإن التطوع فيه أجر كبير، هذا التطوع الذي أمرنا به، هذا التطوع الذي فرضه الله تعالى. فرض جنسه، وأمر به فيه أجر كبير، ولو على الأقل أن يحج كل خمس سنين. كل خمس سنين إذا نعم الله عليك ألا تحرم نفسك من حجة، وأنت تقدر. جاء في بعض الآثار، أو الأحاديث: (إن عبدا أنعمت عليه، وأصحت بدنه يغيب عني -أي عن بيتي- خمس سنين لمحروم). الذي يغيب وهو قادر خمس سنين، وهو قادر وآمن وغني وثري؛ أنه إذا غاب أكثر من خمس سنين، فإنه يعتبر من المحرومين.